## ماذا فعل الفقهاء للبوسنيات والعراقيات والفلسطينيات والفلبينيات ومسلمات سجون الاستبداد؟:

# قراءة في الخطة السعودية لمنع المرأة من الصلاة في صحن الكعبة

د. شافية صديق*

■ صدمة منع المرأة من الصلاة في صحن الكعبة تساوت لدى الكثيرات بصدمة وجود نية لدى بعض المتطرفين من رجال الكنيسة في الولايات المتحدة لضرب ونسف الكعبة وصدمة التاكد من حادثة ضرب الكعبة بالمنجنيق في عهد الامويين من ابناء طلقاء الفتح.

الخطة الصادرة عن الرئاسة العامة لشؤون الحرمين باستبدال الموقع الحالي المخصص للنساء في صحن المطاف في الكعبة لاداء الصلوات بموقعين آخرين في الدور الارضي يقعان في الشرفة الشمالية.

هذه الفتوى او مشروع الانقلاب على التاريخ والفقه والقرآن قبلهما تحول المسلمات الى كائنات كاريكاتورية كما تصورهن الروايات الغربية والاعلام الغربي. واتذكر كمنتسبة لهذه الامة انني كنت اذهب مع عشرات الفتيات والعجائز والامهات المتعبات في احياء العاصمة لصلاة العيد واحيانا لبعض الدروس او الخطب «النادرة» وكانوا يضعوننا في ساحات بعيدة عن موقع الحدث ومكان الامام في الصلوات ويربط المكان الذي نكون فيه بخيوط كهربائية بدائية يجعلنا نتابع الخطبة او الصلاة بطريقة رواد الفضاء وهم يخاطبون قواعدهم قبل ان تتحسن التكنولوجيا، وكنا سعيدات غير متأففات ونحول حالاتنا الى لغة الصبر العجائزي والجريئات منا يبحثن عن احسن السبل للاستمتاع بالمكان ان كان جميلا (شاطىء البحر مثلا) ولكن الكارثة كانت ان الخطبة تلقى والصلاة تقام ونحن ننتظر تحت اشعة الشمس او بلل الزرابي في ايام المطر ثم نصرف من الساحات كقطعان غنم اصابها الجرب او الحمى القلاعية او اللسان الازرق وكان علينا ان نفرح لان الرجال والصبيان وحتى المعتوهين صلوا ونحن ننتظر ان يصلنا الصوت عبر المكبرات التي لا تكبر كما كان علينا ان نصبر ومصليات النساء يختار لها اقذر واظلم الاماكن وهنا انا اتحدث عن قلب العاصمة، اما عن المدن الداخلية فان القضية تدخل في الفقه الافتراضي او التجريم الاستباقي ويمكن للكثيرات ان يتحدثن عما كان يحصل من مهازل في اجنحة النساء عندما كانت مساجد العاصمة تتحدث عن الصحوة وعن ملتقيات ترشيد التدين ومن يعرف الحمامات الشعبية يمكنه ببساطة ايجاد عدة نقاط تقاطع خصوصا مع انعدام النوافذ وتعطل المروحيات الكهربائية ان كانت موجودة اصلا وغيرها مما يفضل الاحتفاظ به في اسرار النساء وان كان الفقه «الحضاري» لم يترك تفصيلا في خصوصيات المرأة لم يشرحه حتى النوادر التي لا تحصل الا مرة كل مليون سنة.

لا بد من البحث من المنصفين من اوفياء الامة عن العلاقة بين الاهانات التي يتعرض لها الرجل المسلم وفتاوى اخراج المرأة من رحمة الاسلام وعدل صاحب الدين. سؤال سيظل يطرح والاجتهادات تسقط على رؤوس المسلمات بما يجعل بعض اليائسات يتساءلن: «هل اخطأنا في اختيار الدين او في اختيار الجغرافيا؟».

عندما انتشرت فضائح ابي غريب وتفرعت التفاصيل المخزية خرج علينا الفقهاء بزواج المسيار والذي كان يطبق عمليا منذ سنوات طويلة كما تطبق اشكال اخرى لزواج المناسبات كما تنقل تفاصيله طفولة اليمن ومصر واليوم بالمناسبة الحديث «ممتع» عن زواج الفنادق وزواج الفرفشة.

وعندما كان العالم الحي يتقاسم جسم الامة الاسلامية خرج علينا رائد الاعجاز العلمي في الاسلام بعلم زواج فرند واتذكر انه عندما جاء الى جامعة باب الزوار بالجزائر في اطار موضة الاعجاز العلمي تهافت عليه طالبات وطلبة لسماع نصائحه والاستفادة من علمه، وكانت الجملة الاثيرة عنده امام اصرار مشاريع باحثين ومهندسين واطارات هي «نصيحتي لكم تزوجوا تزوجوا ولو كان الامر بيدي لحولت هذه القاعات (المخابر) الى غرف نوم!!!!».

وأشهد ان بعض من كان يحضر هذه اللقاءات كانوا يستحون من ذكرها ويركزون على ما كانوا يتمنون سماعه وكان بعض ائمة الجزائر في عهد الصراع على جلب الاتباع يركز على ما ينقض وضوء المرضى في لقاءات كان المفروض ان ترتقي بالانسان الى سماء الله في جو يتحدى العقول والغرائز ويحتاج الى تجديد المناعة باستمرار.

والعالم الاسلامي في هذه الايام يكاد يفقد آخر فرصة له لتجنب الهلاك العام الى درجة ان يبايع الرئيس الفنزويلي في ساحة الازهر الشريف بعد صلاة الجمعة. يخرج علينا زعماء الفقه الميزوجيني ليحرموا المرأة من الصلاة في صحن الكعبة وهم لم يحرموا البناءات الفاجرة المحيطة بالكعبة والتي تطل عليها من عل بسفور ووقاحة وبالمحلات التجارية والاسواق التي تتحدى خشوع الحاج او المعتمر وهو يخرج من جوار الكعبة وروحه مبللة بدموع الشوق لرب الكعبة ورسول رب الكعبة، وكل هذا البناء الفاجر مقتطع من المساحة المقدسة التي تضيق يوما بعد يوم على الباحثين عن تثبيت اليقين وعن رائحة خلاصة عطر النبوة من ابي الانبياء الى الرسول الاعظم عليه الصلاة والسلام الذي صدع بالجملة الفاصلة «لا تمنعوا ايماء الله مساجد الله» وهي الجملة التي كانت تتحدى بها الصحابيات ازواجهن الغيورين عند اصرارهن على صلاة الصبح والعشاء وما بينهما في المسجد.

ان ما تتعرض له اليوم الاستاذة سهيلة زين العابدين بنت المدينة المنورة الباحثة والعالمة بتضاريس السعودية الجغرافية والبشرية من استتابة وتهديد مبطن وما تتعرض له فقيهة الازهر المستقلة الدكتورة سعاد صالح يجعل الخوف مشروعا من ردة ستصيب العقل الانثوي خصوصا وانه متهم ابتداء بالنقص والسفاهة.

لماذا هذا الاصرار على افراغ العجز الذكوري الاسلامي على راس وقلب المرأةالشريفة (لان صنفا من النساء تيقن ان لا امل في نفاق يفتضح يوميا في ملفات مخبأة بعناية) لماذا لا يلتفت هؤلاء الفقهاء الى ما يجعل الامة الاسلامية حقيقة واقعية وليس افتراضية نكذب جميعا ونحن نتحدث عنها والتمزق يفتت اوصالها وورثة الانبياء غارقون في دماء الفتنة التي لا يحلها ولا يعقدها الا الصليبون وقد مات الشيخ الغزالي وغصة الحزن تاكله وهو يحتج كيف لا يوقف الحرب بين العراق وايران الا الامين العام للامم المتحدة «ديكويلار» ولم يستطع ذلك اي عالم مسلم رغم ان القرآن هو الحاسم وهو المرجع لطرفي النزاع. اما اليوم فليست هناك غصة بل هو سؤال عن نوعية القلب التي نملك لنتمكن من التنفس والاكل واللعب والتكاثر ونحن نعامل معاملة العبيد في سوق النخاسة؟

من حق نوال السعداوي وفاطمة المرنيسي وسيمون ديبوفوار ان كانت حية وكل النساء اللواتي تبرأن من هذا الدين الذي يقدم كسفاح للنساء، من حق هؤلاء جميعا ان يشمتن في المسلمات القانتات الصابرات على اذى ورثة الشياطين

الذين يقصفون المسلمات الشريفات فقط بطريقة لا تفهم الا في النسق الفرويدي.

وماذا يبقى للمسلمات (التاكيد ضروري بان نساء كثيرات لم يعدن يبحثن عن الخلاص ولا حتى التعزية في فقه شيطنة النساء) وهن يضيعن 99 % من طاقاتهن في اثبات انهن يعرفن من الله ما يملأ قلوبهن عزة وكرامة ويعرفن من دينهن ما يحول بين جنونهن او كفرهن او انحرافهن.

ماذا فعل الفقهاء للبوسنيات والعراقيات والفلسطينيات والفليبينيات المسلمات ومسلمات دارفور ومسلمات سجون الاستبداد؟

وماذا فعل الفقهاء لطفلات يبعن لشيوخ في ارذل العمر لينتحرن او يهربن او ينحرفن او يتجردن من اي احساس بالحياة؟

ماذا فعل الفقهاء للشريفات العفيفات اللواتي تفتح امامهن ابواب الفساد حتى من اقرب الناس اليهن وعندما يلجأن الى من يتشدق على المنابر باهمية الشرف والعفة يتهرب منهن كأنهن المرض المعدي وينصحهن البعض باللجوء الى الكنائس والجمعيات التبشيرية؟ ماذا فعل الفقهاء لابناء المطلقات والارامل الذين يتعرضون للسرقة من الاوصياء ومن الاقارب المتاجرين بدموعهم واعراضهم؟

ماذا فعل الفقهاء في قضايا الميراث والنفقة والعدة وقضايا كثيرة يعرف القضاة الانسانيون ان الحق الشرعي والانساني مع المرأة ولكن القوانين فصلت لدفعها لنيل حقوقها بسرعة البرق سرعة فهمها لقواعد اللعبة القديمة الجديدة؟

ان الله الذي يعرفه الاسوياء من الرجال والنساء لا يسمح بان يتحول القرآن والسنة الى مرتع للقراءات المغرضة الميزوجينية المريضة التي تجعل الخادمة الفقيرة من ذات اليمين والزوجة متعة مصيرها مرتبط بمزاج الزوج الذي قد يكون ملحدا او فاسقا ولكنه يتحول الى مسلم عندما يتعلق الامر بنزواته.

اننا نقرأ في كتب الفقه فتاوى واجتهادات يتحول فيها الذكر الى آلة حيوانية منفلتة ومن الطف ما يمكن ايراده احتراما للمشاعر السوية ان الرجل الذي يملك مائة جارية رهن اشارته يعد غير محصن والزوج الذي تعاني زوجته الوحيدة من مرض عضال يقعدها الفراش يعد محصنا وهذا في باب اقامة حد الزنا بمعنى ان الرجل الذي يملك قنطارا من اللحم لم يشبع نهمه ويبحث عن جيفة ياكلها!!!!

عندما نقرأ مجبرين قصص الجواري وفتاوى قوم لوط المقرفة نتساءل متى كان هؤلاء يصلون ويتوضؤون ويصومون ومتى كانوا يعملون ومتى كانوا يعتنون باطفالهم ومتى كانوا يرتاحون من الغزوات الكثيرة في نشر الاسلام، متى كانوا يتأملون في ملكوت الله ويبحثون عن رضاه والجنة وكل عقولهم مشغولة بتلك القصص المقرفة وان تسيسوا قتلوا وذبحوا وتآمروا؟

وللامانة والموضوعية من المستحيلات المنطقية والعقلية ان يتربى انسان سوي في احضان فقه الاسرة كما هو في كتب الفقه ومن المستحيل ان يخرج جيل سوي اذا كانت دراسته عن كتب تتحدث عن خصومة امام قاض رسمي في دفع اجرة فعلة قرية سديم او مصير البهيمة المعتدى عليها، اما الامثلة الكثيرة فهي تبعث على الموت الفجاءة لمن كانت له القدرة على مواصلة قراءة تلك الصفحات المخزية وقد سمعت طلبة وطالبات ممتازين في العلوم الاسلامية يسرون لمن يثقون فيهم من الاساتذة ان برامج العلوم الاسلامية الفقهية تخرج اخصائيين في طب النساء وتجارا بدائيين.

وبعض الاساتذة غير المتربحين من هذا الوباء يبدون تخوفهم من اصابات بالاعاقة لكل الاجهزة العاقلة للانسان لمن حاول التفقه في الدين كما يعرض بسخاء!

وبدل ان يجتهد الفقهاء بعيدا عن هذه الدوائر الموبوءة تسرع بنا فتاواهم للاسف الى هذه الخلفية لانها الوحيدة العاصمة من اتهام الدين نفسه.

وبالتالي فان خلاص المسلمات ليس قريبا اللهم الا اذا بنت كل واحدة لنفسها منظومة من القيم تحافظ عليها بحنو واصرار وعض بالنواجذ وتكون هذه الحرب الصامتة ايذانا بانتهاء ايديولوجية الاسلام كمنظم للعلاقات بين الافراد وتصبح كل واحد وكل واحدة مسجده الخاص في وجدانه وان صلى مع الناس وحج معهم. الفتاوى الميزوجينية لن تتوقف وسيقطع راس كل عالم او مفكر يحاول ان يغرد بعيدا عن غربان فقه الظلام، اما العالمات والفقيهات كسعاد صالح وسهيلة زين العابدين وهتون الفاسي وغيرهن فان مدرسة الافك العظيم ما زالت نشيطة وستخرج اختراعاتها عند الضرورة وعلى من ضاقت بهن الدنيا ولم يعدن يتحملن نقص الاوكسجين فما عليهن الا التجول في ساحة الفاتيكان ويكبرن على بعض الشواطىء الايطالية التي طبقت فيها التعاليم الاسلامية الصارمة جلبا للسياح المسلمين او يتطلعن للمعابد الفارهة والمسرفة في الابداع لاتباع الديانة الجينية او يكتفين بديانات لا تحتاج الى امكنة مخصوصة للعبادة والتبتل كاليوغا والمهاريشي.

اما الاقتراح العملي والاسهل فهو ان يسمح لمهندسين من اليابان والبرازيل والمانيا والولايات المتحدة بمعاينة الكعبة ثم يعرض عليهم البحث ضمن كل الشروط التي تمنع اي احتكاك بين الجنسين في الكعبة في الطواف وفي الصلاة وفي السعي وانا متيقنة ان هناك حلولا ممكنة بين امنية تمناها عمر بن الخطاب لتخصيص ايام لكلا الجنسين ومنع متعسف للمرأة بالوصول الى الكعبة وذلك قبل ان يفتى لنا بالحج في البيت عن طريق الفيديو او الحج كليب كما ابتدع هذه السنة بجرأة نادرة على الشعائر!!!!!

### ملاحظات هامة

تقول الدكتورة سعاد صالح: «لماذا يتم النظر للمرأة على انها جماد بلا مشاعر روحية.... اعتقد ان مسلسل ظلم المرأة سيستمر بمنعها من الطواف والسعي بين الصفا والمروة مع الرجال بحجة خشية الفتنة والزحام».

تقول المؤرخة السعودية الدكتورة هتون الفاسي: «خطوة منع النساء من اداء الصلاة في صحن الكعبة ستكون الاولى في التاريخ الاسلامي وربما المسؤولون يريدون اختفاء النساء من اي منطقة عامة لاداء الصلاة .... وكانت هذه الخطوة مسبوقة بقيود على زيارة النساء لقبور الرسول في المدينة».

تقول الاستاذة الباحثة سهيلة زين العابدين ابنة المدينة المنورة ووريثة تطوع مهمة الدليل في الاماكن المقدسة: الله سوى بيننا في التكاليف والفرائض والثواب والعقاب والقصاص ولم يسقط عن النساء فريضة لانوثتهن، ان الرجال يستأثرون بالروضة الشريفة ايضا ويتم طرد النساء بطريقة همجية من قبل القائمين على شؤون الحرمين الشريفين والحراس.

وجميع الاستاذات قدمن حلولا عملية آنية لتفادي الزحام مع عدم منع المرأة من حقها المشروع في الصلاة في صحن الكعبة وتلك الحلول بسيطة ونتائجها جيدة ولكن هل فعلا المراد من هذه المعركة الفقهية هو صالح المرأة او حتى صالح الدين؟

* اكاديمية من السعودية

---

# العلم العراقي لم يُرفع هناك منذ عام 1991 فما سر إعلان مسعود وتقيّة نوري المالكي الآن؟

سمير عبيد*

■ جاء المخضرم جيمس بيكر، قرّر مسعود البارزاني، إنتفض نوري المالكي، صمت عبد العزيز الحكيم، لوّح صالح المطلق، صرّح بعض النواب بين الإرتخاء والشد، إستغلها بعض العملاء ورُدفاؤهم الذين انبطحوا على وجبات ليكونوا من صفوة الوطنيين بإعلاناتهم وبياناتهم وصحفهم ومواقعهم وارتفع الردح والمواويل والألوان والكلام الثقيل ونسوا أنهم هم الذين نشروا في مواقعهم حتى باللغة الكردية تملقا لمسعود وجلال ونيجرفان وهرولوا كي يتشرفوا بلقاء العملاء وأسياد المنطقة الخضراء وفي مقدمتهم الأكراد، ورقصوا وردحوا واستلموا وأسسوا شركات وقاموا بحملات وكانت الماكينة الصهيونية تقتل الأبرياء في لبنان وهناك الماكينة الأمريكية وسكين العصابات الرمادية والسرية تطارد العراقيين الشرفاء كي تقتلهم وتبيدهم وتنشر جثثهم في الشوارع والطرقات والأنهار.

وكذلك كتب شرفاء العراق من المبعدين والمستضعفين والمشردين والمحرومين والمقموعين ومسلوبي الإرادة دفاعا عن بلدهم وعلمهم بنجماته الثلاث التي هي في قلب كل عراقي شريف، وبألوانه الجميلة المتناسقة المستقيمة جنبا الى جنب، وهناك شعار الله ومحمد (ص) وهو (الله أكبر) تلك العبارة العظيمة والشعار الإلهي المحمدي الرائع حيث ستعطي ثمارها قريبا ضد الإحتلال والعملاء بعون الله.

هناك تواطؤ وعمل مشترك بين هؤلاء وأحزاب إسلامية وعلمانية عربية تشترك مع الأكراد أي مع إسرائيل بحكم العراق، فالعلم الذي (يستنكف) منه مسعود البارزاني هو العلم الذي خلصه من بطش غريمه جلال الطالباني يوم أخذ منه الأخير مدينة أربيل، حيث ذهب مسعود الى صدام حسين كي ينجده من الطالباني، فهل نسي هذا؟

وهذا دليل على عدم وفاء الرجل، ودليل على فقدان بوصلته السياسية، وحقه في هذا حيث الحزب هو حزب العشيرة والعائلة، وليس له علاقة بالشعب الكردي ولا بالديموقراطية، وستجدون الأجوبة الشافية من شرفاء الأكراد والذين سئموا سياسات مسعود وطغيان عائلة آل البارزاني.... ولهذا فالعرب والتركمان في العراق ومعهم تركيا والدول العربية تتحمل مسؤولية هيمنة الأكراد على القرار العراقي الداخلي والخارجي، ويتحملون طغيان مسعود وجماعاته، وكذلك طغيان جلال الطالباني وجماعاته، حيث كرّدوا الدولة العراقية كلها وبتواطؤ كبير من مرجعيات مهمة دينية وقبلية وثقافية وسياسية من الجانب الآخر، وهذا لن يغفره التاريخ.

### هدف توقيت لعبة العلم..!

لهذا فالقضية تدور في استراتيجية (إسقاط المالكي وإفشال المصالحة) حيث ان المالكي ورغم اختلافنا معه في كثير من الأمور لكن الرجل جاد في المصالحة، ولكنه لن يتمكن حيث هو محاصر بحيتان ومعاول تحفر أسفل قدميه ومن بعض زملائه في الائتلاف الشيعي، وكذلك من قبل الأكراد وبعض النواب الذين هم للإيجار، ولن يمنحوه فرصة النجاح أو الإنتقال من خندق الى خندق، وتحت شعار (من صعد معنا لا ينزل وإن فكّر بالنزول فمصيره الموت) وهذا هو شعار المنطقة الخضراء على ما يبدو، وهكذا شعار بعض الأحزاب.

لهذا فعندما كتبنا من قبل وأخبرنا نوري المالكي بأن المصالحة لن تتم، وان من يجهضها هم الأكراد والأحزاب والشخصيات التي تنادي بفيدرالية الفرات والجنوب، والسبب لأن المصالحة تعني بقاء كركوك عند الحكومة العراقية، وعند الشعب العراقي من عرب وتركمان وشرفاء الكرد المسالمين الذين لا يريدون سياسات مسعود وتكريد كركوك، وهذا لا يريده مسعود البارزاني الذي يخضع لضغوطات كبيرة جدا من قبل المؤسسات والشركات الامريكية التي تريد الإنقضاض على نفط وخيرات مدينة كركوك، كذلك فإن موضوع المصالحة لا يعجب أصحاب شعار فيدرالية الجنوب حيث ستفشل مساعيهم، وبالتالي فحتما يتضافر الطرفان ضد مصالحة المالكي، وإن إصراره على المصالحة يعني إما إسقاطه أو قتله وهذه هي الحقيقة...!

لهذا فقضية (العلم العراقي) قضية مفتعلة جدا، لأن العلم العراقي لم يرفع في مقاطعات ومشيخات آل البارزاني منذ عام 1991، وأنه يُرفع بالمناسبات فقط في مشيخات آل طالباني في السليمانية، لهذا وافق نوري المالكي على طلب مسعود بتنزيل العلم، ويبدو أن المالكي لجأ الى نظرية واستراتيجية (التقيّة) حيث هو يعلم بأن العلم مفقود من سطوح بنايات مشيخات آل البارزاني، لهذا فقد عرف انه ستكون هناك ردة فعل عالمية وشعبية حول موضوع العلم ولهذا ورط مسعود بقبول قراره، ولا تنسوا أن نظيره الكردي منتفخ بالأحلام (مع تقديرنا لشرفاء الأكراد) فذهب الأخير ليعلن عن عدم مشروعية العلم العراقي في مضارب مشيخات آل البارزاني، فجاءت ردود الأفعال لمصلحة نوري المالكي لتقوي من حظوظة في الشارع العراقي، ولتمتص نقمة الناس حول زيادة أسعار المحروقات واختفاء البنزين والغاز، ناهيك عن انعدام الأمن، ولكن هل يهنأ المالكي فالجواب لا بل ستكون هناك ردة فعل كردية نتيجتها زيادة في التفجيرات والإغتيالات، كذلك زيادة في تفجير أنابيب النفط، أما القمع ضد المواطنين فهو تحصيل حاصل، ولكنه سيزداد حتما خصوصا وان الأكراد وحلفاءهم من العرب يمسكون الجانب الأمني والخدماتي والمعاشي.

فقضية العلم العراقي قضية مصدرها (مطابخ البنتاغون) والدوائر التي يهيمن عليها المحافظون الجدد الذين قبلتهم إسرائيل فقط، فلهذا هي معركة بين أطراف عديدة مكانها الحلبة العراقية، وهي بالون اختبار من صنع أمريكي تزامن مع زيارة (جيمس بيكر) المحسوب على الخارجية الأمريكية، وعلى عائلة الرئيس بوش تحديدا، فقضية العلم العراقي تتعلق أيضا بصراعات بين وزارة الخارجية الأمريكية من جهة وبين وزارة الدفاع (البنتاغون) من جهة أخرى، خصوصا وان الوزير رامسفيلد محاصر بصيحات غضب وبيانات تطالب باستقالته من وزارة الدفاع، لهذا فقضية العلم من صنع (البنتاغون) لإفشال مهمة جيمس بيكر، أو للتغطية عليها ومن ثم هي إجهاض للمصالحة العراقية لأن وزارة الدفاع الأمريكية وبشخصها رامسفيلد لا يريد الإنسحاب من العراق، لذا فمن مصلحته أن يبقى العراق ساخنا كي يلوح بأن الإنسحاب يعني الحرب الأهلية واحتراق المنطقة ويعطي بهذا شرعية البقاء.

الشعب العراقي لا يوجد من يفكر به أو بمستقبله، وأن الأطراف التي تقابل الأطراف الكردية في المعادلة السياسية العراقية معظمها من صنع أمريكي، أي صنعها الإعلام الأمريكي وهو قادر على إسقاطها بنفس الإعلام والطريقة، لهذا هي دمى فالحاكم المدني بول بريمر هو الذي أعطى هذه الأطراف أهمية وبرّزها للسطح لتكون من صفوة القادة والكبار، لهذا فإن الأمريكيين قادرون على سحب هذه الهالة وهذه المواقع من هذه الأطراف وفي أية لحظة.

المحصلة النهائية تقول:

ـ المصالحة ضُربت وهي في غرفة الإنعاش المركزة... وراعيها نوري المالكي بين الرحيل أو الموت نتيجة تصارع القوى.

ـ لقد قُتلت العلاقة بين الشعب العراقي العربي والأكراد وبمسدسات مسعود وزملائه وببنادق البشمركة وبإصرار وترصّد، ولن يكون هناك علاج إلا بخروج الأكراد من المركز وإعلان مشيخاتهم، وترك كركوك الى أهلها الشرعيين من عرب وتركمان وشرفاء الأكراد وبوجهها التركماني.

ـ لقد تمكن الأمريكيون ومن معهم من إسقاط قدسية المرجعية الشيعية وتحويلها الى مؤسسة شريكة بالحكم فبدأت شعبيتها بالإنحسار، وبدأ سريان التوجس وطرح علامات الإستفهام ولقد حذرنا من ذلك وبمقالات سابقة وفي أعوام سابقة.

ـ سيلجأ الأمريكيون الى تحالفات جديدة من أجل مستقبل بلادهم وجيشهم في العراق، وإن هذه التحالفات هي بديلة للأطراف الموجودة وبنسبة 70 % أي الأطراف التي حكمت ولا زالت وأثبتت فشلها السياسي.

ـ التيارات الدينية وبمختلف صنوفها ستخسر كثيرا كونها فارقت الشارع وانغمست في مواضيع كان الأجدر بها الإبتعاد عنها، ولكن على ما يبدو كانت وسائل الإغراء كبيرة ومؤثرة، وبترتيب أمريكي لإسقاط هالات هذه التيارات، ولقد نجحوا بنسبة 85 % تقريبا.

ـ أما الأكراد فإذا لم يعلنوا استقلال دويلتهم دون كركوك سوف يضطرون للقتال والمعارك، إما داخل كياناتهم أو مع العشائر العربية... وإن لم يحدث هذا فسيكونون شركاء بطبخة يتم الإعداد لها ضد سورية... فيبدو ان البندقية الكردية في شوق عارم للإيجار الذي تعلمت وتعودت عليه طيلة مسيرتها المليئة بالعمالة والاستئجار.

ولنا عودة بعون الله.

* كاتب من العراق

---

# شؤون الناس تدار بالمحسوبيات والواسطة واللفلفة: مشكلة العرب عدم وجود بيروقراطية!

سميح الصفدي*

■ عودتنا أدبيات السياسة العربية على النقد «المتقدم» للمفاهيم، متقدم اعني بها: مبكر، لا تاريخي، وبالتالي لا عقلاني من وجهة نظر تاريخية.

بالأمس نقدنا الديموقراطية والليبرالية باسم الاشتراكية، ناصبنا العداء للقيم البرجوازية الحديثة باسم البروليتاريا، نبذنا القومية باسم الأممية والانسانوية..... وحالنا على الارض ما زالت تراوح مكانها:

استبداد، غياب للعدالة والمساواة، «انكسارات» ما قبل قومية (طائفية، عائلية، عشائرية.....).

ان غياب مفهوم العقل التاريخي من وعي غالبية الشرائح المثقفة العربية قد ادى الى تناقضات جوهرية انعكست بوجود فئتين من المثقفين:

ـ الثوريون وهم الذين يفكرون بالعقل المجرد، هذا العقل الذي يبقى صحيحا ما دام مجردا.. كما يقول العروي: «اما اذا طبق على الواقع فإنه يعطي الدليل الفوري على عجزه لأن المجرد لا يعطي مقياسا للتعامل مع الواقع، وهكذا ينشأ الإرهاب. الإرهاب هو اذن في العمق ارتطام العقل المجرد بالواقع الملموس».

العقل المجرد يفهم هذا حق وهذا باطل، هذا صحيح وذاك خطأ، ولا يقيم اعتبارا للممكن، ومن هنا فإن أحكامه قسرية، لا واقعية.

ـ والفئة الاخرى هي فئة المنبطحين، والذين يعترفون بالواقع لكن دون اية رؤية للامكانات الكامنة فيه، وبالتالي فهم يحاولون اشاعة ثقافة استسلامية متصالحة مع الواقع كيفما كان، تارة باسم الواقعية، وتارة اخرى باسم الخصوصية الثقافية، او ضرورات المرحلة... والخوف من التغيير بحجة المؤامرات الخارجية.. ولسان حالهم: «لماذا في مثل هذا الوقت بالذات؟».

بين هذا وذاك تقف قلة من المثقفين العقلانيين «بالمعنى التاريخي»، الذين يستوعبون الواقع ومحركاته، وفي نفس الوقت يمتلكون ارادة التغيير، ولهذا فهم في حالة بحث دائم عن الممكنات الكامنة في هذا الواقع، عن اساليب التأثير فيه ودفعه الى الامام خطوة، يفتشون دوماً عما اسماه ياسين الحافظ «الوعي المطابق» ـ المطابق للواقع والمناسب للهدف المرسوم.

لكن امتلاك هذا الوعي ليس بالمسألة البسيطة والتلقائية، انها مهمة تقتضي مجاهدة النفس كما كان يقول الياس مرقص، ومراجعة المفاهيم وتطورها بشكل دائم ومستمر.

ان المفاهيم لا زالت اشكالية في ثقافتنا، ليس هناك تحديد واضح وتاريخي للمفاهيم، ولعل محاولة «عبدالله العروي» لرسم خطوط عريضة للمفاهيم من المحاولات القليلة ان لم نقل اليتيمة في وطننا العربي. نحن نستعمل مفاهيم الايديولوجيا والحرية والدولة كل على هواه، مفاهيم اخرى كالحب والجمال تعامل كبديهيات، الديموقراطية والعدل والمساواة تخرج من سياق تطورها التاريخي.

وتختصر الى شعارات تتطلب التحقيق الفوري على صورة «آخر طبعة» متوفرة في السوق العالمية.

استوقفني في كتاب العروي الرائع عن مفهوم الدولة معالجته «الفيبرية» لمفهوم أو مصطلح البيروقراطية، هذا المفهوم الدارج على السنتنا... سيئ الصيت والسمعة... والذي يكاد يكون المفهوم الاكثر تعرضا للظلم والتسطيح من قبل المثقفين العرب، بعد قراءة العروي لا بد ان تعيد النظر بكل مفرداتك ومفاهيمك، وستتوقف عن محاولاتك لتمثل انتقادات الغربي لمفاهيمه وكأنها مفاهيمك، في اللحظة التي نحن فيها يجب ان نعامل المفهوم من منطلق وضعنا ومرحلتنا التاريخية، لا من منطلق تطور المفهوم الى نهايته القصوى في العالم المتقدم. ولا من منطلق العقل المجرد. لأن مثل هذه الاخطاء المنهجية قد تحول (على مستوى الوعي) مطلباً مهما وأساسياً من مطالب التطور التاريخي والمجتمعي والسياسي الى عائق في وجه الإصلاح والتطوير تستوجب محاربته، وبالتالي سنشهد مظهرا من مظاهر خداع النفس وسنسقط في المثالية دون ان ندري. وهذا ما حدث مع مفهوم ومطلب البيروقراطية.

ممكن ان نقرأ في كتبنا ومقالاتنا ما يلي حول البيروقراطية:

«البيروقراطية: وهي إحدى أهم العوائق في وجه الإصلاح والتطوير، وهي من نتائج نظام الحزب الواحد، فاستبعاد ذوي الكفاءات والمهارات ـ تحت مسمى أنهم غير أكفاء ـ والتعيين والتوظيف بناء على المحسوبيات والولاء، أدى إلى وصول نوعية من الأشخاص إلى مراكز مفصلية في الدولة ممن يبدون في ظاهر سلوكهم وكأنهم يريدون خدمة الوطن بينما هم في الواقع لا يخدمون سوى أنفسهم ومصالحهم الشخصية الخاصة، مما زاد من اتساع الهوة بين المواطن والسلطة، كما ساهم ذلك في تكديس أعداد كبيرة من العمالة غير المؤهلة في مؤسسات الدولة، وأمثال هؤلاء لا تفيد معهم برامج التأهيل والتدريب لأن جلهم من الفسدة والمرتشين». الدكتور عمر فوزي نجاري (كلنا شركاء 2005/2/18).

أو «ان البيروقراطية المتفشية في حكوماتنا العربية تعيق التطور ولا تضع الرجل المناسب في المكان المناسب وتعامل الفرد كرقم لا كانسان من لحم ودم».

من الصعب ان تسمع في مناقشات المثقفين، في ندواتهم او منتدياتهم، في الصحافة او وسائل الإعلام... استعمالا صحيحا للمفهوم، البيروقراطية تهمة جاهزة تلصق دائما بكل نظام متخلف او دولة مستبدة دون حد ادنى من التفكير.

لكن «العروي» واستنادا الى «ماكس فيبر» يقول شيئا آخر:

ـ «ان اجتماعيات الدولة هي وصف عملية تكون البيروقراطية، أي دراسة حركة العقلنة».

ـ «ان ظهور البيروقراطية في مجتمع ما له دلالة لأنه يرمز الى تحقيق:

1 موضوعية الدولة التي تفصل عن ذات السلطان.

2 ـ موضوعية القانون الذي يفصل عن ذات القاضي او الولي.

3 ـ موضوعية المسطرة القضائية التي تفصل عن ذات المتقاضي.

4 ـ امكانية التنبؤ بسلوك السلطان والولي والقاضي وكل من له نفوذ.

هذه هي شروط العقلنة. في اطار ظروف معينة، يعرف المرء مسبقا النتيجة، فيمكن ان يكيف الوسائل مع الأهداف المحددة».

هنا وجب التساؤل: هل نحن العرب نعاني حقا من البيروقراطية أم نعاني من غيابها؟

ويجيبنا العروي:

«لا تعني البيروقراطية مجموعة من الموظفين، كيف ما كانوا، بل تعني موظفين يعملون وكأنهم جيش مدني. ان ماكس فيبر هو الذي جعل من هذا المفهوم محور اجتماعيات السياسة وعلامة دالة على اكتمال الدولة العصرية. يقول: ان مفهوم البيروقراطية يتفرع عن مفهوم الانضباط... وتفوق البيروقراطية في مجال الادارة كتفوق الآلة على العمل اليدوي».

«تعتبر البيروقراطية انها الطبقة الوحيدة الموجودة وتعتبر ما سواها افرادا مبعثرين يتكتلون من حين لآخر لاسباب عابرة. لا تعرف الحرفة ولا الطبقة ولا الحومة (الحارة) ولا المدينة ولا المقاطعة، تعرف فقط الفرد المنسلخ عن محيطه المحلي والعائلي والحرفي. تشتغل متمثلة خريطة يسكنها افراد منفردون تنظمهم الادارة، متى تريد، حسب قواعد معلومة. تنفذ الاعمال في اوقات وعلى وتيرة محددة، اسبابها (أي الاعمال) معروفة ونتائجها معروفة ايضا مسبقا. فهذا العمل الذي لا يعرف الخوارق ولا ينتهز الفرص العابرة والذي يحصل باستمرار في نفس الصورة وعلى نفس الوتيرة بحيث يعود من السهل التنبؤ بحصوله، نستطيع ان نسميه عقلانيا باعتبار ان العملية الحسابية، اذا عرفت فرضيتها واذا اتبعت المسطرة المعلومة فانها تاتي لا محالة بالنتائج المتوقعة. هذا ما يعنيه بالضبط فيبر اذ يقول: ان البيروقراطية هي الوسيلة الوحيدة لتحويل العمل الجماعي الى عمل اجتماعي معقول ومنظم... انها تشجع طريقة عقلانية في الحياة، علما بأن مفهوم العقلانية يحتمل معاني جد متباينة».

«يتميز السلوك البيروقراطي بالمزايا التالية: التفريد، التجريد، التعميم، وهي بالذات مزايا العقل المجرد، ما اسماه هيغل بالاعقال، تلك الموهبة الانسانية التي تجزئ أي كيان الى وحدات مستقلة تطبق عليها قواعد الجمع والطرح، والتي تهتم بالكم دون الكيف. لا يعني الرياضي كون الفرد أصفر او احمر، مربعا او مثلثاً، كذلك لا يعني البيروقراطي ان يكون المواطن غنيا او فقيراً، شريفاً او عامياً، صحيحاً او مريضاً، كلا الرجلين يخضع خضوعاً كلياً للإعقال».

يبدو من الصعب رفض هذه العلاقة بين الدولة الحديثة وبين عملية العقلنة، ونشأة البيروقراطية كأداة تحقيق تلك العقلنة.

ان نظرة سريعة الى ما يسمى بالبيروقراطية في العالم العربي ستوضح ان:

«البيروقراطية القائمة لا تجسد العقلانية بقدر ما تحافظ على العلاقات الموروثة، ما زال الناس ينظرون الى التوظيف العمومي كهبة لا كخدمة. ما زالت العلاقات بين الموظفين علاقات احسان وولاء. ما زال العامل في تحديد حجم التوظيف هو الحاجة الاجتماعية التي تنمو مع الضغط السكاني (مصر) او مع ضرورة المحافظة على التوازنات الطائفية (لبنان)، بدون التفات الى المردود المنتظر من التوظيف، لذا لم تتحقق موضوعية القانون والدولة والمسطرة. ولم يتوحد سلوك الموظفين الى حد يمكن معه التنبؤ. ما زال سلوك كل موظف مرتبطا بذاته وبشخصية من يحاوره في شأن خدمة معينة». (العروي: مفهوم الدولة).

ليست مشكلة العرب مع البيروقراطية بل مشكلتهم حت